



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد :

فإن المحدث لا يكون تصنيفه للأحاديث دقيقاً إلا بعد معرفة رواتها معرفة موضوعية ودقيقة ، ومن هنا جاءت قيمة علم الجرح والتعديل عند المحدثين ، فصنفوا كتباً في معرفة رواة الأحاديث ليضبطوا فيها أسماءهم ، ويجمعوا أخبارهم من المولد إلى الوفاة ، وخاصة عبارات الجرح والتعديل التي قيلت فيهم ، والتي يستمد منها الحكم على مروياتهم بالقبول أو الرد ، حسب ضوابط ومعايير دقيقة .

لقد كانت هذه الأحكام الغاية التي يريد عالم الجرح والتعديل أن يصل إليها ، وبذل علماء الجرح والتعديل في ذلك الجهد الكبير ، وألفوا المؤلفات الكثيرة ، فمنها ما خصصوه للرواة الثقات مثل « الثقات » للعجلي المتوفى سنة (٢٦١ هـ) ، و « الثقات » لابن شاهين المتوفى سنة (٣٨٥ هـ) ، ومنها ما

خصصوه للرواة الضعفاء والمتروكين مثل « الضعفاء الصغير » للإمام البخاري المتوفى سنة (٢٥٦ هـ) ، و « الضعفاء » للذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) .

ومنها ما يجمع بين الرواة الثقات والضعفاء مثل « تهذيب الكمال » للمزي المتوفى سنة (٧٤٢ هـ) ، و « تهذيب التهذيب » ، و « تقريره » ، وكلاهما لابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) ، وغيرها .

ومن الأئمة الذين كان لهم السبق في هذا الشأن الإمام محمد بن حبان البستي المتوفى سنة (٣٥٤ هـ) الذي ألف كتاب الثقات ، وكتاب المجروحين ، وقد ترجم في هذين الكتابين لكثير من الرواة ، معرفاً بهم ومبيناً حالهم توثيقاً وتجريحاً .



مشكل البحث :

مما يلفت نظر الباحث في هذين الكتابين وجود رواية ذكرهم في كتابه الثقات ثم أعاد ذكرهم في كتابه المجروحين ، يزيد عددهم عن ستة وثلاثين ومائة راو ، وقد ذكرت هذا العدد في مخطط الرسالة اعتماداً على إحصائية الباحث عدا ب الحمش في رسالته (منهج ابن حبان في الجرح والتعديل) ، ولكن بعد مراجعة العدد اتضح أنه أكثر ، وأنه يصل إلى (خمسة وستين ومائة راو) ^(١) ، مما يثير إشكالاً لدى من يعتمد ويأخذ بأقوال هذا الإمام الذي يعد أحد أئمة هذا الشأن ، ويتضح ذلك من خلال الأسئلة الآتية :

- ١ - ألا يعد ذكر الراوي الواحد في الكتابين معاً تناقضاً علمياً لا يجوز أن يصدر عن عَلمٍ له ضوابطه ومنهجه وشروطه ؟!
- ٢ - ألا يمكن أن يدخل هذا التعارض في نطاق تطور المعرفة بالرواة عند ابن حبان وغيره من علماء الجرح والتعديل ؟
- ٣ - ألا يجوز أن تكون أحكامه المتعارضة ناتجة عن خلط ، كأن يظن أن المذكور في الثقات وفي المجروحين اثنان ، وهما في الحقيقة واحد ؟

(١) وقد عقدت ملحقاً في آخر الرسالة لجميع الرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتابه الثقات ، ثم ذكرهم في كتابه المخصص للمجروحين ، وقد اعتمدت في ذلك على طبعة دار الوعي بحلب للدكتور / محمود زايد.

٤- ألا يستطيع البحث العلمي أن يجمع هؤلاء الرواة ، وأن يصنفهم ويدرسهم مع نماذج من مروياتهم ، ويقارن بين أقوال ابن حبان وغيره من أئمة الجرح والتعديل ، ليبين بعد ذلك هل كانوا محل قبول أو رد من نقاد الحديث ؟ إن هذه الأسئلة وغيرها بحاجة إلى إجابات علمية قد يخرج بفضلها الباحث بجملة من الضوابط التي اعتمدها ابن حبان ، وهذا هو موضوع البحث الذي اخترت القيام به لاستكمال مقررات الماجستير ، وجعلته تحت عنوان [تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه « الثقات » و « المجروحين »] .



بيان المصادر وتقددها :

من أهم مصادر البحث التي اعتمدت عليها كتابا ابن حبان « الثقات ، والمجروحين » ، فمنهما استخرجت المادة العلمية التي كانت أساسه ، وسوف يُخصّص لهما مبحث مفصل في التمهيد من الرسالة .

وإلى جانب هذين المصدرين عدت بالدرجة الأولى إلى كتب الجرح والتعديل عامة ، ومن أهمها :

١- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** للحافظ أبي الحجاج يوسف بن الزكي المزني رحمه الله المتوفى سنة (٧٤٢هـ) .

أراد به مؤلفه تهذيب كتاب الحافظ الكبير أبي محمد عبد الغني ابن عبد الواحد بن سرور المقدسي رحمه الله الذي سماه : « الكمال في أسماء الرجال » واقتصر فيه على رجال الكتب الستة .

قال الحافظ ابن حجر : من أجلّ المصنفات في معرفة حملة الآثار وضعاً ، وأعظم المؤلفات في بصائر ذوي الألباب وقعاً ، ولا سيما التهذيب ، فهو الذي وفق بين اسم الكتاب ومسماه ، وألف بين لفظه ومعناه ، بيد أنه أطال وأطاب ، ووجد مكان القول ذا سعة فقال وأصاب^(١) .

(١) تهذيب التهذيب (٢/١) .

* مميزات الكتاب :

له مميزات كثيرة منها :

- ١ - أنه زاد على كتاب الكمال مئات التراجم ، مع اقتصاره على رواية الكتب الستة ، فاستدرك عليه ما فاتته من رواية هذه الكتب ، ثم ضم إلى كتابه جملة من مؤلفات أصحاب الكتب الستة بلغت تسعة عشر كتاباً .
- ٢ - أنه أضاف إلى معظم تراجم « كتاب الكمال » مادة تاريخية جديدة في شيوخ صاحب الترجمة والرواة عنه ، وما قيل فيه من جرح أو تعديل أو توثيق ، وتاريخ مولده أو وفاته ، فتوسعت التراجم بذلك .
- ٣ - أنه قصد الاستيعاب لشيخ صاحب الترجمة والرواة عنه ، ورتبهم على حروف المعجم .
- ٤ - أنه جعل لكل مصنف علامة مختصرة تدل عليه .
- ٥ - أن ما كان من المعلقات بصيغة الجزم فإسناده لا بأس به ، وما كان بصيغة التمریض فربما كان في إسناده نظر^(١) .

الملاحظات التي وجهت للكتاب :

قال الحافظ ابن حجر في التهذيب : ثم إن الشيخ رحمه الله قصد استيعاب شيوخ صاحب الترجمة ، واستيعاب الرواة عنه ، ورتب ذلك على حروف

(١) مقدمة تهذيب الكمال، تحقيق : د. بشار عواد (٤٣/١ ، ٤٤ ، ٤٥) .

المعجم في كل ترجمة ، وحصل من ذلك على الأكثر ، لكنه شيء لا سبيل إلى استيعابه ولا حصره ، وسببه انتشار الروايات وكثرتها وتشعبها وسعتها ، فوجد المتعنت لذلك سبيلا إلى الاستدراك على الشيخ بما لا فائدة فيه جليلة ولا طائلة ..^(١) .

٢- **ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي** رحمه الله ولهذا الكتاب مزايا عديدة ، ولا غرابة فإن مؤلفه الحافظ الذهبي من فرسان هذا العلم الكبار ، وله مؤلفات عديدة في ذلك تشهد بسعة باعه وعظيم مقدرته العلمية في نقد الرجال ومعرفة أحوالهم .

* مميزات الكتاب :

- لهذا الكتاب مميزات كثيرة منها :

١ - أنه جمع كثيرا من الرواة الضعفاء ، قال الحافظ ابن حجر بعد ذكره المؤلفات في المجروحين : ومن أجمع ما وقفت عليه في ذلك الميزان الذي ألفه الحافظ أبو عبد الله الذهبي^(٢) .

٢ - إيراد بعض الثقات المتكلم فيهم بغير حجة بقصد الدفاع عنهم ، ورد التهمة .

٣ - عند الخلاف في الراوي فإنه كثيرا ما يبين ترجيحه لقبول روايته معلما لذلك برمز معروف .

(١) تهذيب التهذيب (١ / ٣) .

(٢) لسان الميزان لابن حجر (١ / ٤) .

الملاحظات التي وُجّهت للكتاب :

- عدم الترجيح بين الأقوال المختلفة التي يوردها أحياناً في تراجم الرواة .
- فاته قسم من الرواة الذين هم على شرطه استدرّكهم الحافظ العراقي في ذيله على « الميزان » ، وكذا الحافظ ابن حجر في « اللسان » .
- ٣- **تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر رحمه الله** ، وهو الكتاب المشهور في تراجم الرواة ، اختصره مؤلفه من كتاب « تهذيب الكمال » في أسماء الرجال .

* مميزات الكتاب :

- لهذا الكتاب مميزات كثيرة منها :

- ١ - أنه أضاف ما ظفر به من أقوال في جرح الرواة وتعديلهم زيادة على ما في كتاب تهذيب الكمال .
- ٢ - حذف كثيراً من أخبار الرواة المترجمين مما لا يفيد في جرحهم وتعديلهم .
- ٣ - لم يحذف من رجال تهذيب الكمال أحداً ، بل ضم إليهم عدداً من الرواة ممن هم على شرط الحافظ المزي .
- ٤ - أثبت ما حذفه المزي من التراجم في أصل كتاب الكمال .
- ٤- **تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر رحمه الله** ، وهو من أشهر الكتب المختصرة في تراجم الرواة ، فإنه لما فرغ من تهذيب التهذيب أراد تقريبه في كتاب بحيث لا تزيد كل ترجمة على سطر واحد غالباً يجمع اسم الرجل ، واسم أبيه وجده ومنتهى أشهر نسبته ، ونسبه ، وكنيته ، ولقبه ، مع ضبط ما يشكل من ذلك بالحروف .

* مميزات الكتاب :

لهذا الكتاب مميزات كثيرة منها :

- ١ - أنه يمتاز في الغالب بوضوح مادته العلمية مع ضبط لكثير مما يشكل بالحروف .
- ٢ - أنه يحكم على الراوي بحكم مختصر يبين صفة المترجم من حيث القبول أو الرد .
- ٣ - الدقة في الحكم على الراوي ، وذلك يظهر من خلال موازنته بين أقوال التوثيق والتجريح التي قيلت في الراوي .

* الملاحظات التي وجهت للكتاب :

- ١ - أنه فاتته ذكر بعض رجال الكتب الستة ممن ترجم هو نفسه لهم في كتابه التهذيب .
- ٢ - الإيجاز الشديد في بعض المواضع ، وكونه يحيل في ترجمة الراوي من موضع إلى موضع آخر ، وبالتبع يتبين وهمه في ذلك .
- ٣ - هذه ملحوظات يسيرة على هذا الكتاب القيم ، الذي رزق القبول ، فما حصل لشيء من المختصرات المشابهة له في موضوعه مثله ، فهو متداول منذ تأليفه بين العلماء والمحدثين والباحثين ، يُعولون عليه في كثير من التراجم ، وينقلون منه حتى سار الكثيرون بسيرته تعديلاً وتجريماً^(١) .

(١) لمزيد من التفصيل انظر : مقدمة رسالة الدكتوراه ، د / عبد العزيز التخيفي (٧٢/١ فما بعد) بعنوان : دراسة الرواة المتكلم فيهم من رجال تقريب التهذيب .

إضافة إلى ذلك فقد رجعت إلى بعض الكتب التي تعنى بعلوم الحديث.

منهج البحث :

انطلقت في بحثي هذا من مادة علمية غزيرة ، لم تستقرأ ، فكان منهجي لذلك هو المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على الجمع والتحليل والمقارنة لاستخراج النتائج العلمية ، وذلك على النحو التالي :

١ - نقلت أقوال ابن حبان عن الراوي في كتابيه الثقات والمجروحين كاملاً .

٢ - قمت بتحليل ألفاظه في الراوي جرحاً أو تعديلاً .

٣ - اجتهدت في استخراج ضابط يجمع بين أقوال ابن حبان في كتابيه « الثقات » و « المجروحين » .

٤ - قمت بدراسة التعارض الناتج عن الاشتباه في اسم الراوي أو مروياته ، وبينت ما ترجح لي في ذلك .

٥ - نقلت أقوال أئمة الجرح والتعديل في الراوي مع توضيح ما أشكل منها .

٦ - قمت بالموازنة بين أقوال ابن حبان وغيره من أئمة الجرح والتعديل لمعرفة مدى موافقته لهم .

٧ - أوردت نماذج من أحاديث الراوي لدراستها وبيان مدى الترابط بين الدراسة النظرية والعلمية .

٨ - الخلاصة : وفيها بيان الراجح في حال الراوي .

وقد اتبعت في بحثي هذا قواعد البحث العلمي بصفة عامة ، والبحث الميداني بصفة خاصة ، ومن هذه القواعد :

١- تخريج الحديث ، وقد اعتمدت فيه على المصادر الأصلية غالباً ، وذلك على النحو الآتي :

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخریجه منهما ، ما لم تقتض الحاجة غير ذلك .

ب- إذا كان الحديث في صحيح البخاري أو مسلم أو السنن الأربعة أذكر رقم الكتاب وعنوانه ورقم الباب وعنوانه ، والجزء والصفحة .

ج- وإذا كان الحديث في مسند الإمام أحمد^(١) أو غيره من المصادر الأخرى أذكر الجزء ورقم الصفحة أو رقم الحديث .

د- بينت درجة الحديث معتمداً في ذلك أقوال العلماء المتقدمين وبعض المعاصرين ، وإلا اجتهدت في معرفة الحكم .

٢- أ- طريقة النقل من المصادر ، وقد اعتمدت فيه على المصادر الأصلية في نقل كلام ابن حبان وغيره من الأئمة إلا في مواضع رجعت فيها إلى الكتب المعتمدة في ذلك ، كتهذيب الكمال ، وتهذيب التهذيب ، وغيرها .

(١) وقد اعتمدت على نسخة دار صادر ، وإذا تعددت طبعات المسند فإنني أشير إلى الطبعة في حينها .

ب- وعندما أنقل نصا لأحد العلماء أو الباحثين أنقله بلفظه أو أختصره متصرفا فيه بحسب الحاجة ، وأشير إلى ذلك في الهامش ، وأثبت الجزء والصفحة .

٣- اكتفيت في تراجم الأعلام بمن لهم علاقة بالبحث .

٤- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ، وبينت أرقامها .

٥- شرحت الألفاظ الغريبة في الحديث .

٦- للاستفادة من البحث وسهولة الوصول إلى المعلومات قمت بوضع فهرس للكتاب ، ويأتي تفصيلها ضمن الخطة .

الصعوبات وطرق حلها :

لا شك أن الصعوبات تعترض كل باحث يعد بحثا علميا له مكانته وأهميته ، وقد واجهتني بعض العقبات أثناء عملي في هذا البحث ، ومن أهمها:

١- ندرة النصوص التي يَبَيِّن فيها ابن حبان سبب تراجعته عن تعديل الراوي أو جرحه ، وقد تغلبت على هذه الصعوبة بفضل جمع مادة علمية اقتضت أن أقرأ قراءة معمقة كتابي « الثقات والمجروحين » بالدرجة الأولى ، وكثيرا من كتب الجرح والتعديل عامة بعد ذلك .

٢- قلة القرائن التي يمكن من خلالها الاستدلال على سبب ذكر الراوي في كتابي الثقات والمجروحين ، فكان الحل المتقدم خير معين لي للبحث عن القرائن ، وقد رجعت لذلك أيضا إلى كتب علوم الحديث بصفة عامة .

٣- سكوت ابن حبان عن أغلب رواة البحث عند ذكره لهم في الثقات ، فقليل ما يتحدث عن جوانب التوثيق في الراوي مما يجعل من الصعوبة بمكان

تحديد درجة قبول الراوي عنده ، ولمعالجة ذلك رجعت إلى شروطه في مقدمة كتابه الثقات ، بالإضافة إلى ما وجدته مبثوثا في ثانيا كتابيه « الثقات والمجروحين » .

٤ - اختلاف وجهات نظر علماء الجرح والتعديل في الراوي ، مما يجعل الباحث يختار في ترجيح القول الصحيح ، خصوصا عند ظهور التكافؤ في توثيق الراوي وجرحه ، وقد استعنت بالمقارنة بين أقوالهم وبالرجوع إلى القواعد التي وضعوها ، والتي منها أن الراوي المعدل لا يقبل فيه الجرح ما لم يكن مفسرا ، وأن الجرح المفسر مقدم على التعديل وغيرها .

٥ - اختلاف أحكام إمام من أئمة الجرح والتعديل في الراوي الواحد ، فتارة يوثقه ، وتارة يضعفه ، ولحل ذلك فقد حاولت الجمع بين أقواله المختلفة بحمل التوثيق في جانب ، والتجريح في جانب آخر ، كتوثيق الراوي لدينه ، وتضعيفه لحفظه ، أو العكس ، أو ظهور تأخر أحد القولين عن الآخر ، أو غير ذلك .

٦ - بالإضافة إلى ما تقدم إن هذا الموضوع لم يتطرق إليه أحد ولم يبحث بصورة شاملة فيما أعلم .

الدراسات السابقة :

لم أجد من أفرد هذا الموضوع بصفة شاملة سوى الباحث عدا ب الحمش في رسالة الماجستير المقدمة إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة بعنوان : الإمام محمد بن حبان البستي ومنهجه في الجرح والتعديل ، فقد تطرق للرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتابيه « الثقات والمجروحين » ، مقتصرًا على ذكرهم دون أن يتعرض إلى المشكل المتقدم ، ودون أن يدرس أسباب تعارض الأحكام ،

كما أنه لم يذكر نماذج من مرويات هؤلاء ، فرسالته كانت تهتم بمنهج ابن حبان في الجرح والتعديل على وجه العموم ، والرواة الذين ذكرهم في كتابيه « الثقات والمجروحين » ، وضع لهم ملحقاً في آخر الرسالة .

وبسؤال المختصين من أهل العلم ومراجعة دليل الرسائل الجامعية ١٤١٥هـ بمركز الملك فيصل الإسلامي تبين لي أن الموضوع الذي أنوي بحثه لم يسبق أن سجل كرسالة علمية في جامعات المملكة العربية السعودية .

أهمية الموضوع :

١ - تكمن أهمية الموضوع في الإجابة على الأسئلة المتقدمة ، وفي إبراز الضوابط التي قد يرفع بفضلها التعارض ، أو يكمل البحث العلمي جانباً من النقص في أحكام هذا العالم الفذ .

٢ - لقد قبل بعض المحدثين رواية الذين وثقوا من أئمة وجرحوا من آخرين ، وحل إشكال التعارض في أحكام ابن حبان يعلل عمل هؤلاء المحدثين .

٣ - إن دراسة ظاهرة التعارض في أحكام ابن حبان تفتح باب البحث لدراسة نفس الظاهرة عند غيره من الأئمة .

٤ - إن أقوال ابن حبان انتشرت في أغلب كتب المتأخرين ، فدراسة هذه الظاهرة عنده تيسر فهم ما نقله عنه المتأخرون .

٥ - إن أهمية هذا الموضوع تتضاعف إذا أضيف إلى ما تقدم ما يلي :

أ) إن من أهداف هذا البحث الجمع بين علمين ، أحدهما نظري ، والآخر تطبيقي ، وذلك من خلال دراسة نماذج من مرويات الرواة الذين تعارضت فيهم أحكام ابن حبان .

ب) لم يتطرق البحث الجامعي بالمملكة العربية السعودية إلى هذا الموضوع إلا بصورة عرضية ، كما بينت ذلك في الفقرة السابقة .

أسباب اختيار الموضوع :

١ - أهمية الموضوع كما تقدم ، إضافة إلى أسباب أخرى كانت مشجعة لي على اختياره ، ومن هذه الأسباب :

٢ - مكانة النقد والموضوعية في علم الجرح والتعديل .

مكانة ابن حبان العلمية عند علماء الجرح والتعديل ، وقيمة أحكامه ، ويبرز ذلك في الناقلين عنه ، وفي المستدركين عليه ، كالذهبي في « ميزان الاعتدال » ^(١) ، وابن حجر في « تهذيب التهذيب » ^(٢) و « لسان الميزان » .

٣ - إبراز ضوابط إمام من أئمة الجرح والتعديل ، ودراسة ما نتج عنها من أحكام نظرية ، مع بيان أثرها على المرويات ، وذلك بتتبع نماذج من مرويات الرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتابه « الثقات والمجروحين » .



-
- (١) قول الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٥٤٩/٢) في ترجمة عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء : وهم ابن حبان في قوله : عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء ، لأنه قد ترجمه في الثقات بقوله : عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة .
- (٢) مثل قول ابن حجر في عبد الله بن بحير أبي وائل القاص الصنعاني : وثقه ابن معين ، واضطرب فيه كلام ابن حبان ، « تهذيب التهذيب » (١٥٣/٥) .

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة وفهارس :

★ المقدمة : اشتملت كما تقدم على :

- ١ - مشكل البحث ، والحاجة إلى حله .
- ٢ - بيان المصادر ونقدها .
- ٣ - وصف الصعوبات ، وبيان طرق حلها .
- ٤ - بيان عناوين أبواب الرسالة وفصولها .

* التمهيد : وفيه :

- ١ - التعريف بابن حبان وكتابه « الثقات والمجروحين » باختصار لسبب سبق دراسات متخصصة في ذلك .
- ويتطرق التعريف إلى بيان اسم ابن حبان ، ونسبه وكنيته ، ومولده ونشأته ، وطلبه للعلم ، ورحلته فيه ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وثناء العلماء عليه ، وجهوده في خدمة الحديث وعلومه ، وعقيدته ، ووفاته ، ومنهجه في كتابه « الثقات » و « المجروحين » ، مع دراسة أيهما أسبق في التأليف .
- ٢ - الإشارة إلى نماذج من تعارض أحكام ابن حبان في الراوي الواحد .

*** الباب الأول : التعارض وعلاقته بضوابط ابن حبان ، وفيه أربعة فصول :**

الفصل الأول : توثيق الراوي في روايته عن شيوخ ، وتجريحه في آخرين .

الفصل الثاني : توثيق الراوي إذا روى عنه بعض الرواة ، وتجريحه إذا روى عنه البعض الآخر .

الفصل الثالث : توثيق الراوي لدينه ، وتضعيفه لحفظه .

الفصل الرابع : توثيق الراوي لضبطه ، وتجريحه لبدعته .

*** الباب الثاني : التعارض الناتج عن الالتباس والتراجع ، وفيه أربعة فصول :**

الفصل الأول : تعدد الأسماء والراوي واحد .

الفصل الثاني : الالتباس في الاسم .

الفصل الثالث : تحديد مصدر الخطأ في المرويات .

الفصل الرابع : التراجع عن توثيق الراوي .

*** الخاتمة :** لبيان أهم نتائج البحث .

*** الفهارس :**

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الآثار .
- فهرس الرواة الذين تمت دراستهم .

- فهرس الأعلام .
- فهرس المصطلحات .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس المراجع والمصادر .
- فهرس الموضوعات .
- **ملحوظة :** سوف أُضمّن كل فصل من هذه الفصول الأمرين التاليين :
- أ) الجانب النظري ، ويتمثل في إظهار التعارض ودراسة الضابط .
- ب) الجانب التطبيقي ، ويتمثل في دراسة نماذج من أحاديث الرواة الذين يشملهم الضابط .

والله ولي التوفيق ,,,,

كلمة شكر :

يطيب لي في نهاية هذا البحث أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى فضيلة المشرف على الرسالة أستاذي الفاضل : د/ محسن بن محمد عبد الناظر الذي كان له أكبر الأثر في توجيهي وتشجيعي على البحث وتخطي الصعوبات التي كانت تواجهني كأبي باحث ، ولم يزل طوال هذه المدة أخاً حنوناً ، ومعلماً رفيقاً ، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك في علمه ووقته ، كما أشكر جميع مشايخي وزملائي الذين استفدت من آرائهم وسابقتهم ، وأبدوا لي ملاحظاتهم على البحث ، وأسأل الله سبحانه أن يكتب لهذا العمل القبول ، وأن ينفع به .

كما أشكر لجنة المناقشة المكونة من الأستاذين الكريمين د / عبد الله ابن مرحول السوالمه ، ود / عبد الغني بن أحمد جبر ، على تفضلهما بمناقشة الرسالة ، وإبداء الملاحظات والتصويبات ، وشكري متواصل لجامعة الملك سعود ممثلة بكلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية ، وكلية الدراسات العليا لإتاحتهم الفرصة لي لإكمال دراستي العليا.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ [الصفات : ١٨٠ - ١٨٢] .

التمهيد

وفيه خمسة مباحث :

- المبحث الأول : ترجمة ابن حبان .
- المبحث الثاني : التعريف بكتابه الثقات .
- المبحث الثالث : التعريف بكتابه المجروحين .
- المبحث الرابع : التعريف بكتابه الصحيح .
- المبحث الخامس : الإشارة إلى نماذج من تعارض أحكام ابن حبان في الراوي الواحد .

المبحث الأول : ترجمة ابن حبان*

١- اسمه ونسبه وكنيته :

هو الإمام العالم الفاضل المحقق الحافظ ، شيخ خراسان أبو حاتم ، محمد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مرة التميمي البُستي السَّجستاني ، والتميمي نسبة إلى تميم ، جدّ القبيلة العربية المشهورة ، والبُستي نسبة إلى مدينة بست إحدى أعمال سَجستان ، تقع على الضفة اليسرى للنهر الكبير هيلمند ، إلى الجنوب من الموقع الذي يتصل بنهر أرغنداب ، وكانت مدينة بُست قد دخلت في حوزة المسلمين سنة ثلاث وأربعين للهجرة على يد عبد الرحمن ابن سمرة رضي الله عنه .

أما كنيته فقد كان يكنى بأبي حاتم ، ولم تختلف كتب التراجم فيما بينها على تكنيته بهذه الكنية .

* مصادر ترجمته :

وهي كثيرة جداً أذكر بعضها :

- ١- الأنساب للسمعاني (٣٤٨/١١-٣٤٩) .
 - ٢- البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٦/١١) .
 - ٣- سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١٨/١) .
 - ٤- شذرات الذهب لابن العماد (١٦/٣) .
 - ٥- طبقات الشافعية للسبكي (١٣١/٣) .
 - ٦- الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٦٦/٨) .
 - ٧- لسان الميزان لابن حجر (١١٢/٥) .
 - ٨- معجم البلدان لياقوت الحموي (٤١٥/١-٤١٩) .
 - ٩- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣٩٢/٣) .
 - ١٠- الوافي بالوفيات للصفدي (٣١٧/٢) .
- ومن استوفى ترجمة ابن حبان الباحث عدا ب الحمش في رسالته الماجستير : الإمام محمد بن حبان البستي ومنهجه في الجرح والتعديل (١٣٠/١-١٩٠) .

مولده ونشأته :

أجمعت كتب التاريخ والتراجم على أن ابن حبان بُسّتي المولد والنشأة ، إلا إنها لم تحدد سنة ولادته ، وقد ذكر الذهبي^(١) أن أبا حاتم توفي في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وهو في عشر الثمانين ، وقال : ولد سنة بضع وسبعين ومائتين^(٢) ، فإذا كان قد قارب الثمانين سنة (٣٥٤هـ) فقد تكون ولادته بين سنة (٢٧٥ - ٢٧٩هـ) ، وقد كانت أسرة ابن حبان على درجة من الغنى بما وفرت عليه مؤونة الكدح والسعي إلى الرزق ، ومكنته من الطلب المبكر ، والرحلة الواسعة بين أرجاء العالم الإسلامي المترامي الأطراف ، طلبا للعلم والتماسا له من صدور الرجال .

طلبه للعلم :

قال الإمام الذهبي : طلب العلم على رأس الثلاث مائة^(٣) أ.هـ. ، وهو يشير إلى أنه طلبه بنفسه ، وأن عمره آنذاك ينيف على العشرين عاما ، فلئن تأخر قليلا في الطلب إلا أنه شمر عن ساق الجدمأ أطاق ، عُدت في ذلك همّة عالية قربت إليه المسافات البعيدة ، وأدنت إليه البلاد النائية ، فرحل إلى شيوخ وقته في بلادهم ، وقصد أجلة علماء زمانه في مدنهم وقراهم .

(١) تذكرة الحفاظ (٩٢٢/٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٣/١٦) .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٥٠٦/٣) .

رحلته فيه :

بدأ ابن حبان رحمه الله الرحلة في طلب العلم بعد أن حصل علم شيوخ بلده ، وكان من أكثر العلماء وأوسعهم رحلة في طلب العلم^(١).

فقد بلغ مجموع البلدان التي ارتحل إليها ابن حبان خمسة وثمانين بلدا ، حدث فيها عن خمسمائة شيخ وبضعة عشر شيخا ، وبهذا يمكن القول بأنه لم يترك حاضرة من حواضر العلم المعروفة في القرن الرابع الهجري إلا حدث عن شيخ أو شيوخ من علمائها أو روادها ، ومن بين تلك البلاد التي رحل إليها ابن حبان تستر ، وجرجان ، والرّي ، وسمرقند ، ومرو ، ونسا ، ونيسابور ، وهراة ، وبغداد ، والموصل ، وواسط ، والبصرة ، وخران ، والرقّة ، وطرسوس ، ودمشق ، وأنطاكية ، وعسقلان ، والقاهرة ، والإسكندرية ، إضافة إلى بلاد الحجاز ، وأخيرا وبعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم ، والتي بلغت أربعين سنة من عمره عاد ابن حبان إلى مسقط رأسه بُست ، وخط رحله فيها ، وأقام بها دارا ومدرسة ، ورحل إليه المحدثون من كل جهة لسماع مروياته ، وبقي كذلك حتى وافاه الأجل المحتوم^(٢).

شيوخه :

إن الحديث عن شيوخ ابن حبان يحتاج إلى بحث علمي متخصص ، لأنهم من الكثرة بحيث يشكلون عملا علميا ضخما يخدم علم رجال الحديث

(١) ميزان الاعتدال (٥٠٦/٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٦) .

في فترة حرجة من الزمن ، حيث إن كثيرا من التواريخ قد فقدت كتاريخ نيسابور ، وتاريخ بخارى ، وتاريخ سمرقند^(١) ، وغيرها .

وقد بلغ عدد شيوخ ابن حبان الذين تلقى عنهم ما يقرب من ألفي شيخ ، كما صرح بذلك ابن حبان نفسه حيث قال : لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من الشاش إلى الإسكندرية^(٢) .

وسأذكر أبرز شيوخه الذين أكثر الأخذ عنهم :

١ - الإمام الحافظ أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن المثنى ، محدث الموصلي ، أحد الثقات الأثبات ، انتهى إليه علو الإسناد ، وازدحم عليه أصحاب الحديث ، وأجمعوا على ثقته ودينه ، عاش سبعاً وتسعين سنة ، توفي سنة سبع وثلاثمائة^(٣) .

٢ - الإمام الحافظ الحسن بن سفيان الشيباني ، روى عن أحمد بن حنبل وقتيبة بن سعيد ، ويحيى بن معين ، وهو من أقران أبي يعلى ، كان ممن رحل وصنف وحدث مع صحة الديانة والصلابة في السنة ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة^(٤) .

٣ - الإمام المحدث أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب الجمحي البصري ، كان حسن المعرفة ، سمع من القعنبى وأبي الوليد

(١) منهج ابن حبان في الجرح والتعديل لعذاب الحمش (١٥٨/١) .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمر علاء الدين الفارسي (١٥٢/١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧٤/١٤) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥٧/١٤) .

الطيالسي ، وسليمان بن حرب ، وعلي بن المديني ، كان ثقة مأمونا ، صادقاً أديباً ، فصيحاً ، وهو أكبر شيخ لقيه ابن حبان ، توفي سنة خمس وثلاثمائة ^(١) .

٤ - إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عني في حديثه بالحديث والفقهاء حتى صار ممن يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان ، سمع من ابن راهويه ، وعلي بن حجر ، وأحمد بن منيع ، وخلق سواهم ، وحدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين ، كان إماماً ثبتاً ، معدوم النظر ، لازم ابن حبان وأكثر عنه وأثنى عليه بما لم يشن على غيره ، توفي ابن خزيمة رحمه الله سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ^(٢) .

٥ - الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو العباس محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن مهران الثقفى مولاهم ، الخراساني النيسابوري ، كان على جانب عظيم من التقى والورع والعلم ، سمع من قتيبة بن سعيد ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن منيع ، وهناد بن السري ، وخلق سواهم ، توفي سنة ٣١٣ هـ ^(٣) .

٦ - الإمام الحافظ الكبير الجوال ، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم النيسابوري الأصل الإسفراييني صاحب المسند الصحيح الذي خرجه على صحيح مسلم ، وزاد أحاديث قليلة في أواخر الأبواب ، كان من علماء الحديث وأثبتهم ، سمع من يونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأحمد بن سعيد الدارمي ، وكانت وفاته سنة ست عشرة وثلاثمائة ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧/١٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٦٥-٣٨٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٨٨-٣٩٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤١٧/١٤) .

فهؤلاء هم الذين أكثر عنهم ابن حبان في كتبه ، ولا شك أن هؤلاء الحفاظ وغيرهم من شيوخه كان لهم الأثر الكبير في شخصية ابن حبان العلمية والتربوية ، وكثرة هؤلاء الأعلام الحفاظ ، وتعدد تخصصاتهم مكن ابن حبان من اتساع الأفق ، وتنوع المعارف ، والتقدم في العلم الشيء الكثير .

تلاميذه :

وهم جم غفير ، فقد رحل إليه كثير من المحدثين وقرأوا عليه مصنفاته ، وسمعوا مروياته ، وكان من تلاميذه الذين ذاع صيتهم فيما بعد :

١ - الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، من بحور العلم وأئمة الدنيا في الحفظ والفهم والورع ، سمع من البغوي وابن أبي داود ، وابن صاعد ، وخلائق لا يحصون كثرة ، صنف في الحديث والعلل والفقه والقراءات ، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة^(١) .

٢ - الحافظ العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل البخاري ، حدث عن خلف بن محمد الخيام ، وسهل بن عثمان السلمي ، ومحمد بن جعفر بن أسلم ، كان حافظاً ثقة مصنفاً ، توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة^(٢) .

٣ - الإمام الحافظ الجوال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن أبي زكريا ، يحيى بن منده الأصبهاني العبدي ، سمع من أبي حامد بن بلال ، ومحمد ابن

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/٤٤٩-٤٦١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢) .

الحسين القطان ، وأبي العباس الأصم ، قال عنه الذهبي (رحمه الله تعالى) بعد أن سرد أسماء المدن التي رحل إليها ، والعلماء الذين أخذ عنهم ، قال : وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة ، ولم أجد أحداً كان أوسع رحلة منه ، ولا أكثر حديثاً منه ، مع الحفظ والثقة ، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمئة شيخ ^(١).

٤ - الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع الملقب بالحاكم صاحب المستدرک ، طلب الحديث في الصغر ، واستملى من ابن حبان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، روى عن أبيه ومحمد بن علي بن عمر المذكر ، وأبي العباس الأصم ، وأبي علي الحافظ ، وحدث عنه الدارقطني ، والبيهقي ، وأبو القاسم القشيري ، وخلق سواهم .

صنف من الكتب ما يقارب ألف جزء حديثي من تخريج الصحيحين ، والعلل ، والتراجم ، والأبواب ، والشيوخ ، وغيرها ، توفي رحمه الله في شهر صفر سنة خمس وأربعمائة ^(٢).

ولا شك أن تتلمذ هؤلاء الحفاظ الكبار على ابن حبان يدل على سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، ومعرفته بشتى العلوم والمعارف وكتبه شاهدة على ذلك ^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٨/١٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٠٤/١٧) .

(٣) وممن ترجم لتلاميذ ابن حبان بتوسع معجم البلدان لياقوت الحموي (٤١٦/١) ، سير أعلام النبلاء (٩٤/١٦) .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

حظي ابن حبان رحمه الله تعالى بمكانة مرموقة في الأوساط العلمية ، ولم يتبوأ هذه المنزلة إلا لما كان عليه من عظيم الرحلة في طلب العلم ، وكثرة الشيوخ والأحاديث التي تلقاها عنهم ، وكان له أيضاً إسهام كبير في نشر العلم بشتى وسائله ، تدريساً ، وتصنيفاً ، وتفقيهاً للناس ، وإفتاءً ، وقضاءً بينهم ، فكل هذا جعل ابن حبان جديراً بكل ما قيل فيه من ثناء العلماء عليه وتوثيقه والذب عنه ، وقد وصفه تلميذه الحاكم بقوله : « كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه » ^(١).

وقال أبو سعد الإدريسي : « كان ابن حبان على قضاء سمرقند زماناً ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار ، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم ، صنف المسند الصحيح ، والتاريخ ، وكتاب الضعفاء ، وفقه الناس بسمرقند » ^(٢).

وقال الخطيب : « كان قد سافر الكثير ، وصنف كتباً واسعة ، وكان ثقة ثبناً فاضلاً ، فهماً » ^(٣).

وقال ياقوت الحموي : « كان ابن حبان مكثراً في الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد » ^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٩٤/١٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٤/١٦) ، ولسان الميزان (١١٤/٥) .

(٣) الجامع للخطيب (٣٦١/٢-٣٦٣) .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (٤١٥/١) .

وقال الحافظ ابن كثير: « محمد بن حبان صاحب الأنواع والتقاسيم ،
وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين » ^(١).

فهذه نماذج يسيرة من ثناء العلماء عليه ، وقد ترجمت لابن حبان
مصنفات كثيرة ، فلو سردت أقوالهم لكتبت صفحات عديدة من هذا البحث.

جهوده في خدمة الحديث وعلومه :

خلف ابن حبان رحمه الله تعالى تراثاً علمياً ضخماً يدل على سعة علمه ،
وعلو همته ، لكن لم يكتب البقاء لهذا التراث العلمي كما أشار إلى ذلك الحافظ
الذهبي ، حيث نقل عن مسعود بن ناصر قوله : وهذه التواليف - أي مؤلفات
ابن حبان - إنما يوجد منها النزر اليسير ، وكان قد وقف كتبه في دار ، فكان
السبب في ذهابها مع تطاول الزمن ضعف أمد السلطان واستيلاء المفسدين » ^(٢).

وقال الحاكم : أقام بنيسابور وبنى الخانقاه ، وصارت الرحلة إليه ، وقرأ
عليه جملة من مصنفاته ، وبنى مدرسة لأصحابه ، ومسكناً للغرباء الذين
يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة منهم ، ولهم جريات يستنفقونها ،
وأوقف داره وفيها خزانة كتبه ، وجعلها في يدي وصي سلمها إليه لبيد لها لمن
يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير أن يخرجها منها » ^(٣).

والناظر في ترجمة ابن حبان يجد أنه قد بذل جهوداً ضخمة في خدمة
الحديث وعلومه ، وغيرها من العلوم ، فقد صنف في الحديث وعلله ،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٩/١١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٥/١٦) .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٢١) ، ومعجم البلدان (٤١٥/١) .

وأوهامه ، ورجاله ، وفي التاريخ ، والسير ، وفي الفقه وأصوله ، وفي العقيدة ، وفي التربية واللغة والأدب ، وغيرها من العلوم .

قال ياقوت الحموي وهو الرجل المحقق يشهد بذلك : « ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف ، علم أن الرجل كان بحرًا في العلوم ، وأخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره » ^(١) .

ولكن لم يصل إلينا من مؤلفاته إلا القليل جداً ، وكان ياقوت الحموي قد نقل عن الخطيب البغدادي أنه يتحسر - على ضياع كتبه ، وينعى على أهل البلاد جهلهم وبلادتهم ، فيقول : « ومثل هذه الكتب كان يجب أن يكثر بها النسخ ، فيتنافس فيها أهل العلم ، ويكتبوها ويجلدوها إحرازاً لها ، ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل العلم بتلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به » ^(٢) .

ومع أن كتب ابن حبان قد ضاع أغلبها فقد وصلنا بعضها أذكر منها :

١- الثقات : وهو في تراجم الرواة الذين وثقهم ابن حبان حسب شروطه ، ورتبه على الطبقات ، فبدأ بذكر النبي ﷺ ومولده ، وبعثته ، وهجرته إلى أن توفاه الله تعالى ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين ... الخ .

وسياأتي بيان تفصيل عن هذا الكتاب في موضعه .

(١) معجم البلدان (١/٤١٥) .

(٢) معجم البلدان (١/٤٩٦) .

٢- معرفة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين :

وهو في الرواة الذين جرحهم ابن حبان حسب شروطه ، وجاءت أسماؤهم مرتبة على حروف المعجم ، وقد ابتدأ هذا الكتاب بذكر أنواع الجرح ، وسيأتي بيان تفصيل عن هذا الكتاب في موضعه .

٣- **التقاسيم والأنواع** : وهو من أهم كتبه التي وصلت إلينا ، ولما كان هذا الكتاب من المصادر المهمة التي عدت إليها في هذا البحث فإنه سيكون هناك تعريف بالكتاب بشيء من التفصيل فيما بعد .

٤- **كتاب مشاهير علماء الأمصار** : وهو كتاب مختصر ذكر فيه مشاهير علماء الأمصار ، وأعلام فقهاء الأقطار دون الضعفاء والمتروكين ، والأمصار التي اقتصر على ذكر أعلامها هي : مكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، وواسط ، وخراسان ، والشام ، ومصر- ، واليمن ، ويضم (١٦٠٢) من التراجم ، وقد رتبته على الطبقات ابتداءً بالصحابة ﷺ ، ثم التابعين ، ثم أتباع التابعين ، وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة (١٩٥٩م) باعتناء المستشرق فلاديشهمر^(١) .

٥- **كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء** : وهو كتاب يبحث في الأدب ومكارم الأخلاق ، وقد طبع مرات عديدة ، إحداها في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة (١٩٤٩م) ، بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد الرزاق حمزة ، ومحمد حامد الفقي .

(١) مقدمة الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٣/١) .

عقيدته :

الكلام على عقيدة ابن حبان بحاجة إلى بحث علمي متخصص^(١) ،
وحسبي أن أشير هنا إشارة سريعة إلى بعض الجوانب من عقيدته :

١ - وافق ابن حبان أهل السنة والجماعة في أصول الاستدلال على
مسائل الاعتقاد ، وذلك باستدلاله بالكتاب والسنة^(٢) .

٢ - يذهب ابن حبان في الإيمان مذهب أهل الحديث ، فالإيمان عنده
قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وتصديق بالقلب^(٣) ، وهو يزيد بالطاعات
وينقص بالمعاصي .

٣ - يرى ابن حبان أن النبوة اصطفاء واجتباء من الله وحده ، وما نقل
عنه من قوله إن النبوة علم وعمل ، فقد اعتذر عنه الذهبي بقوله : « لم يُرد ابن
حبان حصر المبتدأ في الخبر ، ونظير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الحج
عرفة »^(٤) .

ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف حاجاً ، بل بقي عليه فروض
وواجبات ، وإنما ذكر مهم الحج ، وكذا هذا ذكر مهم النبوة ، إذ من أكمل

(١) وقد قام بذلك الباحث عبد العزيز المبدل في رسالته للماجستير بعنوان : « عقيدة ابن حبان » ،
كما كتب أيضا الباحث عذاب الحمش في رسالته « منهج ابن حبان في الجرح والتعديل »
عن هذا الموضوع (٢٣٥/١) فيما بعد .

(٢) الثقات (٥/١) فما بعد .

(٣) الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (٣٨٨/١) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٦/٣) في كتاب الحج باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع
فقد أدرك الحج (٧: ٥٧) ، وإسناده صحيح .

صفات النبي كمال العلم والعمل ، فلا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما ، وليس كل من برز فيهما نبياً ، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى ، لا حيلة للعبد في اكتسابها ، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح ، وأما الفيلسوف فيقول : النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل ، وهذا كفر لا يريده أبو حاتم أصلاً^(١).

وحصل لابن حبان بسبب هذه الكلمة بلاء عظيم ، حيث فهمها بعض المعاصرين له على غير وجهها فاتهم بالزندقة ، وكُتِبَ إلى الخليفة بذلك فأمر بقتله ، غير أن الله حفظه ، فله الحمد والشكر .

٤- ويرى أن الكبائر لا تخرج صاحبها من الإيمان^(٢) ، وإن سلبت اسمها ، ولا يختلف موقف ابن حبان في مسألة خلق القرآن عن موقف أكثر المحدثين تشدداً ، فالقرآن عنده كلام الله تعالى ليس بمخلوق ، وقائل ذلك كافر ، فقد قال في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : « كان حافظاً متقناً ورعاً فقيهاً ، لازماً للورع الخفي ، مواظباً على العبادة الدائمة ، به أعان الله ﷻ أمة محمد ﷺ ، وذلك أنه ثبت في المحنة ، وبذل نفسه لله ﷻ حتى ضرب بالسياط للقتل ، فعصمه الله عن الكفر وجعله علماً يقتدى به »^(٣).

وقد أثبت رؤية الله تعالى في الآخرة ، وأبطل قول المعتزلة في ذلك ، فقال : « الأخبار في الرؤية يدفعها من ليس العلم صناعته ، وغير مستحيل أن الله جل وعلا يمكن المؤمنين المختارين من عباده من النظر إليه ، جعلنا الله منهم بفضل ، حتى يكون ذلك فرقاً بين الكفار والمؤمنين »^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٩٦/١٦) .

(٢) الإحسان (٤١٤/١) .

(٣) الثقات (١٨/٨) .

(٤) الإحسان (٤٧٧/١٦) .

٥- واتفقت آراء ابن حبان في السمعيات مع ما قرره أهل السنة والجماعة من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ، والحوض ، والشفاعة ، والصراط دون تأويل أو صرف لها عن ظاهرها ^(١).

٦- سلك ابن حبان رحمه الله في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم مسلك أهل السنة والجماعة ، فأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم بقية العشرة ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ، وهم عنده جميعاً من الثقات العدول ، تقبل أخبارهم من غير بحث في أحوالهم ^(٢).

وفاته :

وبعد حياة جهاد متواصلة ، قضى - جُلها في الأسفار ، وملاً ساعاتها بالطلب والسماع والإملاء والاستملاء ، وعمر أيامها بالتأليف ، والتصنيف ، وتعرض فيها لمحن وأحداث ، شاء الله أن يرجع إلى مسقط رأسه بست ، ليمضي فيها بقية عمره ، فوافاه أجله ، وهو بين أهله وأصحابه وطلابه ، وذلك ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤هـ ، ودفن بعد صلاة الجمعة في الصفة التي ابتناها قرب داره في مدينة بُست ^(٣) ، رحم الله ابن حبان رحمة واسعة ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .



(١) الإحسان (٣٧٨/٧) فما بعد (٣٧١/١٤) فما بعد (٣٨٤/١٦) (٣٦٠/١٤-٣٦١) .

(٢) الإحسان (٢٣٦/١٦-٢٤٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠٢/١٦) .

المبحث الثاني : التعريف بكتابه (الثقات)

منهجه في الكتاب :

هذا الكتاب أُملي فيه ابن حبان أسامي أكثر المحدثين ، ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ، وقد بدأه بمقدمة حث فيها على لزوم سنن المصطفى ﷺ ، والحث على نشر العلم ، وما يستحب من حفظ تواريخ المحدثين ، ثم ذكر مولد النبي ﷺ وبعثته ، وهجرته ، وغزواته ، وغير ذلك مما يتعلق بسيرته الشريفة ﷺ ، إلى أن توفاه الله تعالى ، ثم سيرة الخلفاء الراشدين وما تم في خلافتهم من الجهاد والفتوحات ، وغير ذلك من أخبارهم ، وما وقع في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الفتن إلى أن قُتل رحمه الله ، ثم ذكر من جاء بعدهم من الخلفاء والملوك إلى ولاية المطيع ابن المقتدر بعد الخمس وثلاثين وثلاثمائة ، ثم ذكر أسامي حملة العلم الصحابة فمن بعدهم ، وقد طبع الكتاب بتمامه في تسعة أجزاء في مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند ، فصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٧٣ م والتاسع سنة ١٩٨٣ م ^(١).

سبب تأليف الكتاب :

ذكر ابن حبان سبب تأليفه لهذا الكتاب فقال : فلما رأيت معرفة السنن من أعظم أركان الدين ، وأن حفظها يجب على أكثر المسلمين ، وأنه لا سبيل

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٢/١) .

إلى معرفة السقيم من الصحيح ، ولا صحة إلى إخراج الدليل من الصريح إلا بمعرفة (ثقات)^(١) المحدثين وكيفية ما كانوا عليه من الحالات^(٢).

ترتيب الكتاب :

رتب كتابه هذا على الطبقات ، فذكر الصحابة الذين روى الأخبار عن النبي ﷺ ورتبهم على حروف المعجم ، ثم التابعين كذلك ، ثم أتباع التابعين ، ثم تبع أتباع التابعين على تفصيل في ذلك ختم به الكتاب. أ. هـ .

وهذا الترتيب له فوائد كثيرة ، فبه يعرف رواة كل عصر- مجتمعين وما يلحق بذلك من معرفة رواياتهم وأخبارهم .

منهجه في الكتاب :

لم يبين ابن حبان منهجه في كتابه ، وإنما أشار إشارات يسيرة إلى بعض ما يتعلق بتوثيق الرواة ، وشروط قبول مروياتهم ، ولعله اكتفى بالكتابين اللذين خصصهما لهذا الموضوع ، وهما كتاب الفصل بين النقلة ، وكتاب شرائط الأخبار ، وسيأتي الكلام عليهما .

أما ما ذكره عن توثيق الرواة فقد قال : « ولا أذكر في هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم » إلى أن قال : « فكل من أذكره في هذا الكتاب الأول فهو صدوق يجوز الاحتجاج بخبره إذا تعرى خبره عن خصال خمس ، فإذا وجد خبر منكر عن واحد من أذكره في كتابي هذا فإن ذلك

(١) الأصل : ضعفاء .

(٢) الثقات (٣/١) .

الخبر لا ينفك من إحدى خمس خصال : إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرت اسمه في كتابي هذا في الإسناد رجل ضعيف لا يحتج بخبره ، أو يكون دونه رجل واه لا يجوز الاحتجاج بروايته ، والخبر يكون مرسلاً لا يلزمنا به الحجة ، أو يكون منقطعاً لا يقوم بمثله الحجة ، أو يكون في الإسناد رجل مدلس لم يبين سماعه الخبر من الذي سمعه منه ، فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمن كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر ، لأنه لا يدري لعله سمعه من إنسان ضعيف يبطل الخبر بذكره إذا وقف عليه وعُرف الخبر به ، فما لم يقل المدلس في خبره وإن كان ثقة سمعت أو حدثني فلا يجوز الاحتجاج بخبره »^(١).

فذكرت هذه المسألة بكمالها بالعلل والشواهد والحكايات في كتاب شرائط الأخبار فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب ، وإنما أذكر في هذا الكتاب الشيخ بعد الشيخ ، وقد ضعفه بعض أئمتنا ووثقه بعضهم ، فمن صح عندي منهم أنه ثقة بالدلائل النيرة التي بيتهها في كتاب « الفصل بين النقلة » أدخلته في هذا الكتاب ، لأنه يجوز الاحتجاج بخبره ، ومن صح عندي منهم أنه ضعيف بالبراهين الواضحة التي ذكرتها في كتاب « الفصل بين النقلة » لم أذكره في هذا الكتاب ، لكنني أدخلته في كتاب « الضعفاء بالعلل »^(٢) لأنه لا يجوز الاحتجاج بخبره^(٣) فكل من ذكرته في كتابي هذا إذا تعرى خبره عن الخصال الخمس التي ذكرتها فهو عدل يجوز الاحتجاج بخبره ، لأن العدل من لم يُعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده ، إذ لم يكلف الناس من الناس معرفة ما غاب عنهم ، وإنما كُلفوا الحكم بالظاهر

(١) الثقات (١١/١-١٢) .

(٢) يعني كتابه معرفة الجرحين .

(٣) الثقات (١٣/١) .

من الأشياء غير المغيب عنهم ، جعلنا الله ممن أسبل عليه جلايبب الستر في الدنيا ، واتصل ذلك بالعفو عن جناياته في العقبي إنه الفعال لما يريد ^(١) .أ.هـ.

ثم إن ابن حبان بين أنه وإن كان الراوي صدوقاً محتجاً به ، فإن هذا لا يعني قبول جميع مروياته ، بل هناك أجناس من أحاديث الثقات لا يحتج بها ، ذكر ذلك مفصلاً في مقدمة كتابه « المجروحين » وسيأتي ذكرها عند الكلام عليه .

مميزات الكتاب :

يُعد هذا الكتاب من المراجع الهامة في ذكر أسماء الرجال وتعديلهم ، وله في ذلك مزايا كثيرة .

١ - أنه ابتداء كتابه بذكر المصطفى ﷺ ومولده ، وبعثته وهجرته وغزواته إلى أن قبضه الله تعالى إلى جنته ، وكذلك سيرة الخلفاء الراشدين من بعده .

٢ - دفاعه عن بعض الرواة من الأئمة وغيرهم الذين تكلم فيهم بعض أئمة الجرح والتعديل .

٣ - يُعد هذا الكتاب من أهم المراجع عند علماء الجرح والتعديل الذين جاءوا من بعد ابن حبان كالملزي والذهبي وابن حجر ، حيث اعتمدوا نقل كلامه كثيراً في كتبه .

٤ - التفصيل في أحوال الرواة المختلف فيهم مع بيان الحالات التي ترد فيها مروياتهم .

٥ - انفراده بتوثيق رجال لا نجد لهم ترجمة في كتب الجرح والتعديل الأخرى .

٦ - أنه يذكر بعض الأحاديث مع بيان عللها أحياناً .

(١) الثقات (١٣/١) .

- ٧- الاقتصار في الترجمة على ما يتعلق بتوثيق الراوي وتجريجه غالباً .
- ٨- ذكره لبعض الفوائد التاريخية والفقهية والعقدية .
- فقد ذكر بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ^(١) وأشار إلى بداية التاريخ الهجري ، وأن الذي ابتدأه عمر رضي الله عنه ^(٢) .
- ومنها ما ذكره من أن أول جمعة جمعت بالمدينة جمعها أسعد بن زرارة رضي الله عنه ، وهم أربعون رجلاً في روضة يقال لها « نقيع الخضعات » من حرة بني بياضة ^(٣) .
- وذكر في ترجمة الإمام أحمد ما يفهم منه أن القول بخلق القرآن كفر ^(٤) .

الملاحظات التي وُجّهت إلى الكتاب :

- ١ - توثيقه للمجاهيل ، وله في ذلك منهج يحتاج إلى تفصيل ليس مجاله هنا ^(٥) .
- ٢ - عدم ذكره الأدلة التي استند إليها في توثيق الرواة المختلف فيهم ، وإنما أفرد ذلك في كتاب مستقل سماه « الفصل بنقلة » ^(٦) ، وكان الأولى أن يذكره في مقدمة هذا الكتاب .
- ٣ - إعادته لبعض الرواة في كتابه « المجروحين » بعد ذكره لهم في « الثقات » من غير أن يبين سبب ذلك غالباً .

(١) الثقات (١٥٦/٢) .

(٢) الثقات (٢٠٦/٢) .

(٣) الثقات (٩٨/١) .

(٤) الثقات (١٩-١٨/٨) .

(٥) لمعرفة ذلك انظر : التنكيل للمعلمي (٤٩٩/١) .

(٦) سيأتي مزيد تفصيل لهذا الكتاب في آخر التمهيد .

المبحث الثالث : التعريف بكتابه المجروحين

ابتدأ ابن حبان كتابه بمقدمة حث فيها على حفظ السنن ونشرها ، وحذر من الكذب على رسول الله ﷺ وبين أنه لا يمكن الذب عنه إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين والمتروكين منهم والوضّاعين ، ثم ذكر الدليل على وجوب جرح الضعفاء ورد قول من توهم غير ذلك من رعا ع الناس ، ثم ذكر عشرين نوعاً من أنواع جرح الضعفاء والأجناس التي ترد ، والأجناس التي لا يجوز الاحتجاج بها من أحاديث الثقات ، ثم ذكر أسامي المجروحين من الرواة ، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ محمود إبراهيم زايد ، وصدر في ثلاثة أجزاء عن دار الوعي بحلب .

سبب تأليف الكتاب :

بين ابن حبان سبب تأليفه لهذا الكتاب فقال : « فإن أحسن ما يدخر المرء من الخير في العقبى ، وأفضل ما يكتسب به الذخر في الدنيا حفظ ما يعرف به الصحيح من الآثار ، ويميز بينه وبين الموضوع من الأخبار ، إذ لا يتيهأ معرفة السقيم من الصحيح ، ولا استخراج الدليل من الصريح إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين والثقات وكيفية ما كانوا عليه من الحالات ^(١) .

إلى أن قال : وإني أذكر ضعفاء المحدثين ، وأضداد العدول من الماضين ، ممن أطلق أئمتنا عليهم القدح ، وصح عندنا فيهم الجرح ^(٢) .

(١) الأصل من الخلاف والتصويب من الثقات (٣/١) .

(٢) المجروحين (٤/١) بتصرف .

ترتيب الكتاب :

رتب كتابه على حروف المعجم خلافاً لصنيعه في « الثقات » وإن كانت هذه الطريقة أسهل ، فإن طريقة الطبقات أحسن وأفيد ، ولعله أراد بذلك التنوع في تأليفه وتسهيل ذلك على طالبيه .

منهجه في الكتاب :

لم يتوسع ابن حبان في بيان المنهج الذي سار عليه في هذا الكتاب اكتفاء بما ذكره في كتابه « الفصل بين النقلة »^(١) ، وإنما عد أنواع جرح الضعفاء ، وقسمهم إلى عشرين نوعاً نذكرها هنا باختصار .

النوع الأول : الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ، كانوا يتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء ويروون عنهم ليوقعوا الشك في قلوبهم ، فيسمع الثقات منهم ما يروون ، ويؤدونها إلى من بعدهم ، ف وقعت في أيدي الناس حتى تداولوها بينهم .

النوع الثاني : من كان يضع الحديث على الشيوخ والثقات في الحث على الخير وذكر الفضائل ، والزجر عن المعاصي والعقوبات عليها متوهماً أن ذلك الفعل مما يؤجر عليه .

النوع الثالث : من كان يضع الحديث على الثقات وضعاً استحلالاتاً وجرأة على رسول الله ﷺ .

(١) سيأتي مزيد تفصيل له .

النوع الرابع : من كان يضع الحديث عند الحوادث يحدث للملوك وغيرهم في الوقت دون الوقت من غير أن يجعلوا ذلك صناعة له .

النوع الخامس : من غلب عليه الصلاح والعبادة وغفل عن الخلط والتميز ، فإذا حدث رفع المرسل وأسند الموقوف ، وقلب الأسانيد .

النوع السادس : جماعة ثقات اختلطوا في أواخر أعمارهم حتى لم يكونوا يعقلون ما يحدثون ، فأجابوا فيما سُئلوا ، وحدثوا كيف شاءوا ، فاختلط حديثهم الصحيح بحديثهم السقيم فلم يتميز فاستحقوا الترك .

النوع السابع : من كان يُجيب عن كل شيء يُسأل عنه سواء كان ذلك من حديثه أو من غير حديثه ، فلا يبالي أن يتلقن ما لقن ، فإذا قيل له هذا من حديثك حدث به من غير أن يحفظ .

النوع الثامن : من كان يكذب ولا يعلم أنه يكذب إذ العلم لم يكن من صناعته ولا أغبر فيها قدمه .

النوع التاسع : من كان يحدث عن شيوخ لم يرهم بكتب صحاح ، فالكتب في نفسها صحيحة إلا أن سماعه عن أولئك الشيوخ لم يكن ولا رأيهم .

النوع العاشر : من كان يقلب الأخبار ويسوي الأسانيد كخبر مشهور عن صالح يجعله عن نافع ونحو هذا .

النوع الحادي عشر : جماعة رأوا شيوخاً سمعوا منهم ، ثم ذكروا عنهم بعد موتهم بأحاديث لم يسمعوها منهم فحفظوها ، فلما احتيج إليهم ظفروا عليها وحدثوا بها عن الشيوخ الذين رأوهم من غير تدليس عنهم .

النوع الثاني عشر : من كتب الحديث ورحل فيه إلا أن كتبه قد ذهبت ، فلما احتيج إليه صار يحدث من كتب الناس من غير أن يحفظها كلها أو يكون له سماع فيها .

النوع الثالث عشر- : من كثر خطؤه وفحش وكاد أن يغلب صوابه فاستحق الترك ، وإن كان ثقة في نفسه صدوقاً في روايته .

النوع الرابع عشر- : من امتحن بابن سوء أو وراق سوء كان يضع له الحديث ويقرأ عليه ، ويقول له : هذا من حديثك فيحدث به ، فالشيخ في نفسه ثقة ، إلا أنه لا يجوز الاحتجاج بأخباره لما خالط أخباره الصحيحة الأخبار الموضوعة .

النوع الخامس عشر : من أدخل عليه شيء من الحديث وهو لا يدري فلما تبين له لم يرجع عنه ، وجعل يحدث به آنفاً من الرجوع عما خرج منه .

النوع السادس عشر : من سبق لسانه حتى حدث بالشيء الذي أخطأ فيه وهو لا يعلم ، ثم تبين له وعلم فلم يرجع .

النوع السابع عشر : من كان معلناً بالفسق والسفه ، وإن كان صدوقاً في روايته لأن الفاسق لا يكون عدلاً ، والعدل لا يكون مجروحاً .

النوع الثامن عشر : من كان يُدلس عمن لم يره .

النوع التاسع عشر : المبتدع إذا كان داعية يدعو الناس إلى بدعته حتى صار إماماً يُقتدى به .

النوع العشرون : القصاص والسؤال الذين كانوا يضعون الحديث في قصصهم ويروونها عن الثقات ، فكان يحمل المستمع منهم الشيء بعد الشيء على حسب التعجب ، فوقع في أيدي الناس وتداولوها فيما بينهم . أ. هـ .

ومما يلحق بما تقدم الأجناس الستة من أحاديث الثقات التي لا يجوز الاحتجاج بها ، وإن كان الكتاب الأول بها أشبه إلا أنني أذكرها كما ذكرها ابن حبان حيث قال : « ومن أحاديث الثقات أجناس لا يُحتج بها ، وقد سبرت رواياتهم ، وخبرت أسبابها ، فرأيتها تدور في نفس الاحتجاج بها على ستة أجناس :

الجنس الأول : وهو الذي كثر في المحدثين ، فمنهم من كان يخطئ الخطأ اليسير ، إما في الكتابة حيث كتب ، ولم يعلم به حتى بقي الخطأ في كتابه إلى أن كبر ، واحتيج إليه ، مثل تصحيف اسم يشبه اسماً ، ومثل رفع مرسل ، أو إيقاف مسند ، أو إدخال حديث في حديث أو ما يشبه هذا ، فلما رأى أئمتنا مثل يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وبعدهما أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، ومن كان من أقرانهم ، من أهل هذه الصناعة ما تفردوا من الأشياء التي ذكرتها أطلقوا عليهم الجرح وضعفهم في الأخبار .

وهذا الجنس ليسوا عندي بالضعفاء على الإطلاق حتى لا يحتج بشيء من أخبارهم ، بل الذي عندي ألا يحتج بأخبارهم إذا انفردوا ، فأما ما وافقوا الثقات في الروايات فلا يجب إسقاط أخبارهم ، فكل من يجيء من هذا الجنس في هذا الكتاب فإني أقول بعقب ذكره : لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد .

الجنس الثاني : أقوام ثقات كانوا يروون عن أقوام ضعفاء كذابين ، ويكنونهم حتى لا يُعرفوا ، فربما أشبه كنية كذاب ثقة فيتوهم المتوهم أن راوي هذا الخبر ثقة فيحملون عليه ، وليس ذلك الحديث من حديثه ، ومن أعلمهم بمثل هذا من هذه الأمة الثوري ، كان يحدث عن الكلبي ، ويقول حدثنا أبو النضر ، فيتوهم المستمع أنه أراد به سعيد بن أبي عروبة ، أو جرير بن حازم ، ومثل الوليد بن مسلم إذا قال : حدثنا أبو عمرو فيتوهم أنه أراد به الأوزاعي ،

وإنما أراد به عبد الرحمن بن يزيد ، وقد سمعا جميعاً عن الزهري ، ومثل بقية إذا قال : حدثنا الزبيدي عن نافع ، فيتوهم أنه أراد به محمد بن الوليد الزبيدي ، وإنما أراد زرعة بن عمرو الزبيدي ، وما يشبه هذا ، فلا يجوز الاحتجاج بخبر في روايته كنية إنسان لا يدرى من هو ، وإن كان دونه ثقة ، لأنه يحتمل أن يكون كذاباً كنى عن ذكره .

الجنس الثالث : الثقات المدلسون الذين كانوا يدلسون في الأخبار ، مثل قتادة ويحيى بن أبي كثير ، والأعمش ، وأبي إسحاق ، وابن جريج ، وابن إسحاق ، والثوري ، ومن أشبههم ممن يكثر عددهم من الأئمة المرضيين ، وأهل الورع في الدين ، كانوا يكتبون عن الكل ، ويروون عن سمعوا منه ، فربما دلسوا عن الشيخ بعد سماعهم عنه عن أقوام ضعفاء لا يجوز الاحتجاج بأخبارهم ، فما لم يقل المدلس وإن كان ثقة حدثني أو سمعت فلا يجوز الاحتجاج بخبره .

الجنس الرابع : الثقة الحافظ إذا حدث من حفظه وليس بفقيه ، لا يجوز عندي الاحتجاج بخبره ، لأن الحفاظ الذين رأيناهم أكثرهم كانوا يحفظون الطرق والأسانيد دون المتون ، ولقد كنا نجالسهم برهة من دهرنا على المذاكرة ، ولا أراهم يذكرون من متن الخبر إلا كلمة واحدة يُشيرون إليها ، وما رأيت على أديم الأرض من كان يحسن صناعة السنن كأنها نصب عينيه إلا محمد ابن إسحاق بن خزيمة رحمة الله عليه فقط .

فإذا لم يكن الثقة الحافظ فقيهاً ، وحدث من حفظه ، فربما قلب المتن ، وغير المعنى حتى يذهب الخبر عن معنى ما جاء فيه ، ويقلب إلى شيء ليس منه ، وهو لا يعلم ، فلا يجوز عندي الاحتجاج بخبر من هذا نعت ، إلا أن يحدث من كتاب ، أو يوافق الثقات فيما يرويه من متون الأخبار .

الجنس الخامس : الفقيه إذا حدث من حفظه ، وهو ثقة في روايته لا يجوز عندي الاحتجاج بخبره ، لأنه إذا حدث من حفظه ، فالغالب عليه حفظ المتون دون الأسانيد ، وهكذا رأينا أكثر من جالسناه من أهل الفقه ، كانوا إذا حفظوا الخبر لا يحفظون إلا متنه ، وإذا ذكروا أول أسانيدهم يكون : قال رسول الله ﷺ ، فلا يذكرون بينهم وبين النبي ﷺ أحداً ، فإذا حدث الفقيه من حفظه فربما صحف الأسماء وقلب الأسانيد ، ورفع الموقوف ، وأوقف المرسل ، وهو لا يعلم لقلّة عنايته به ، وأتى بالمتن على وجهه ، فلا يجوز عندي الاحتجاج بروايته إلا من كتاب ، أو يوافق الثقات في الأسانيد ، وإنما احترزنا من هذين الجنسيتين لأننا نقبل الزيادة في الألفاظ إذا كانت من الثقات .

الجنس السادس : أقوام من المتأخرين قد ظهرُوا يسوقون الأخبار ، فإذا كان بين الثقتين ضعيف ، واحتمل أن يكون الثقتان رأى أحدهما الآخر أسقطوا الضعيف من بينهما حتى يتصل الخبر ، فإذا سمع المستمع خبر أسام[[] رُوأته ثقات^(١) اعتمد عليه ، وتوهم أنه صحيح كبقية بن الوليد قد رأى عبيد الله بن عمر ، ومالك بن أنس ، وسمع منهما ، ثم سمع عن أقوام ضعفاء عنهم فيروي الرواة عنه أخباره ، ويسقطون الضعفاء من بينهم ، حتى يتصل الخبر في جماعة مثل هؤلاء يكثر عددهم .

وإنما ذكرنا هذه الأجناس الست من الثقات في نفي الاحتجاج بأخبارهم في هذه المواضع ، وإن كان غير هذا الكتاب به أشبه ، وإن لم يطل الكلام فيه لئلا يغتر بعض من لم ينعم النظر في صناعة الأخبار ، ولا تفقه في

(١) هكذا الأصل ، والمعنى أن الخبر رواه كلهم ثقات .

صحيح الآثار ، فيحتاج على من لم يكن العلم صناعته بخبر من هذه الضروب الستة . أهـ^(١) .

مميزات الكتاب :

- ١ - ذكره في مقدمة الكتاب الأدلة على وجوب بيان حال الرواة الضعفاء ، والرد على من كره ذلك .
- ٢ - تقسيمه المجروحين ، وأنهم عشرون نوعاً ذكرها مفصلة .
- ٣ - بيانه أن من أحاديث الثقات ما لا يجوز الاحتجاج به ، وحصر ذلك في ستة أجناس .
- ٤ - أن جرحه للرواة لا يكون إلا مفسراً ومفصلاً غالباً .
- ٥ - اعتماده على من سبقه من الأئمة ، فقد قال : وإنا نملي أسامي من ضعف من المحدثين وتكلم فيه الأئمة المرضيون^(٢) .
- ٦ - ذكره لاسم الراوي كاملاً ونسبه وكنيته وكل ما يدفع الاشتباه فيه .
- ٧ - ذكره بعض أحاديث الراوي التي يُستدل بها على وهمه ، فهو بذلك يُعد مرجعاً للأحاديث الضعيفة والموضوعة .
- ٨ - يعد هذا الكتاب ديواناً هاماً لأسامي الضعفاء والمتروكين من الرواة.

(١) المجروحين (٩٠ / فما بعدها) .

(٢) المجروحين (٩٤ / ١) .

الملاحظات التي وجهت إلى الكتاب :

- ١ - التشدد في جرح بعض الرواة الذين وُثِّقوا .
- ٢ - التناقض في إعادة ذكر بعض الرواة الذين ذكروا في الثقات .
- ٣ - عدم ذكره لمنهجه بتفصيل ، وإنما أحال لبعض كتبه الأخرى .
